المكتبة الخضراء للأطفال

٣٧

سرّ الشعر الأسود



بقلم : سوزان عبدالرحمن

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

(٣٧)

سرّ الشعر الأسود

بقلم : سوزان عبد الرحمن

رسوم : أسامه أحمد نجيب

الطبعة الخامسة



دار المعارف



يُحْكَى أنه فى قَدِيمِ الزَّمَانِ.. كَانَ يُوجَدُ مَنْزِلٌ جَمِيلٌ صَغِير، يَقعُ وسَطَ جَزِيرَةٍ خَضْراء، يُحِيطُ بها نَهْرٌ كَبِير يَجْرِى فى هُدُوءٍ..

النَّهْرُ الهَادِئ تَشْرَبُ مِنهُ الطُّيورُ والْحَيوانَاتُ فى سَعَادَةٍ وسَلَام.. ويَرْوِى أَرْضَ الْجزِيرَةِ الْخضْراء.. فَتَنْبتُ بها الْورُودُ والأَزْهَارُ والأَشْجَار..

وكَانَ يَسْكُن فى هَذَا الْبَيْتِ الصَّغِير، فَتَاةٌ اسْمُها «جَدَائِل».. رَائِعَةُ الْجَمالِ.. لها وَجْهٌ دَائمُ الابْتِسَامِ، وشَعْرُها أَسْودُ طَوِيل، نَاعِمٌ كَالْحَرِيرِ، يَصِلُ إلَى قَدمَيْها.. وكَانتْ «جَدائلُ» تَعِيشُ مَعَ جَدِّهَا

الْكَبِيرِ.. تُساعِدُهُ وَتُعِدُّ له الطَّعَامَ والْحَلْوى، وَتَخْدِمُه بكُلِّ حُبٍّ واحْتِرامَ.

وقَدْ تَعَلَّمَتْ «جَدائِلُ» تَربيةَ الْحَيوانِ والْعِنَـايةِ بـالزَّرْعِ ، وصَيْـدَ السَّمكِ، ورُكوبَ الْخَيلِ من جَدِّها «حَكِيم».. الَّذِى قَامَ بِتَرْبيتِها بعد



وفَـاةِ والِدَيْهـا.. وأفَاضَ علَيْهـا مِنْ عِلْمِه وحنَـانِـه ورِعَـايتِـه الشَّيْءَ الكَثِيرَ..

وفى يَوْمٍ مِنْ أيَّامِ الرَّبيعِ الْجَمِيلَةِ، ونَسِيمُ الْهَواءِ يُدَاعِبُ أوْرَاقَ الشَّجَر، والأغْصَانُ تَتمايَلُ، والْعَصَـافِيرُ تُغَنِّى. خَـرجَتْ «جَدَائِـلُ» كَعادَتِهَا إلى النَّهرِ.. وكانت تـرْتَدِى ثَـوْبًا طَـوِيلاً هَفْهَـافًا نَـاصِعَ الْبَيَاضِ.. ومعها قِطَّتُها وحِصَانُها..

جَلَسَتْ «جَدَائِلُ» تَصْطَادُ السَّمكَ.. ومرَّ وقْتٌ طَوِيل.. وشَعَرتْ بالتَّعَبِ.. فأسْنَدَتْ ظَهْرَهـا إلى جِذْعِ شَجَـرةٍ كَبيرَةٍ.. وسُـرْعَانَ ما رَاحَتْ فى نَومٍ عميقٍ.. فى ظِـلَالِ الشَّجَرَةِ.. وهَبَّتْ نسَمَـاتُ الْهَواء، فَطارَ شَعْرُهَا الأسْودُ الطَّوِيلُ، وغَطَّى بعضَ وَجْهِهَا، واسْتَقرَّ



الْبَاقِي وراءَ ظَهْرِها، فظَهَرَتْ كأنَهَا تنامُ على وِسَادَةٍ حَرِيريَّةٍ سَوْدَاء.. وفَجْأَةً..

اسْتَيقَظتْ «جَدَائِلُ» على صَوْتِ ضَجَّةٍ.. فَرأَتْ مِنْ بَعِيدٍ عَددًا من الْجُنودِ الفُرسَانِ يَرْكَبُون خُيولًا سَوْدَاء.. وعلى رأْسِهِمْ قائدٌ شَابٌّ يركَبُ حِصَانًا أَبْيَض.. وظَلَّتْ «جَدائِلُ» في مَكَانِهَا، تَنْظُرُ إِلَيْهِمْ في دَهْشَةٍ.. دُونَ أن تَتكلَّمَ.. وكأنَّهـا في حُلْمٍ.. ثم رأَتْ أَحَدَ الْجُنـودِ يَقْتَرِبُ مِنْها، ويُحَدِّثُها.. ولَكِنَّهَا، لم تُجِبْه لشدَّةِ دَهْشَتِهَا مِنْ وجُودِ أَشْخاصٍ غُرَباء في هَذِه الْجَزِيرَة.. التي هي مَمْلكَتُها الْخَاصَّة.. لها ولجَدِّهَا..

وأَسْرعَتْ «جَدَائِلُ» بالنَّظرِ إلَى الْجُنودِ.. ثُمَّ نظَرتْ إلى قَائِدِهِم.. فَرأَتْهُمْ يَلْتفون حَوْلَهُ، ويُسَاعِدُونَه في إقَامَةِ خَيْمةٍ.. فأَخذَتْ تنظُرُ.. وعيناهَا الْوَاسعَتانِ تَتَساءلَانِ في اسْتِفْهامٍ على ما يَحْدُثُ.. وقَـطعَ عليْها الْجُنْدِيُّ حَيْرتَها قائلًا:

- ألَا يُوجَدُ أَحَدٌ غَيْرُكِ في هَذِه الْجَزِيرَة؟

فَقَالَتْ «جَدَائِلُ» مُسْرِعَةً:

- مَنْ أَنتُمْ؟ ومِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟

فقَالَ لها الْجُنْدِيّ:

- أَلَمْ تَسْمَعِى عن بِلَادِ الْمَلِكِ «فَارِس» وابْنـه الأَمِير «سَيْف»؟ وأَشَارَ الْجُنْدِىُّ إلى قَائِدِه.. ففهِمَتْ «جَدَائِلُ» أَنَّ هَذَا هو الأَمِيـرُ «سَيْف».. ثُمَّ أَعَادَ الْجُنْدِىُّ سُؤَاله مَرَّةً أُخْرَى:

- ألا يُوجَدُ أَحَدٌ غَيْرُكِ فى هذه الْجَزِيرَة؟

فأَجَابَتْ «جَدَائِلُ» قَائِلَةً:

- يُوجَدُ جَدِّى.. وهو فى الْمَنْزِلِ. هَلْ تُرِيدُونَه؟



قال الْجُنْدِىُّ: نَعَمْ..

فَقالَتْ «جَدَائِلُ»: انْتظِرُونى حَتَّى أَدُلَّكُمْ على الطَّرِيق.

ذَهَبَ الْجُنْـدِىُّ إلى الأَمِيـرِ «سَيْف» وأَخْبَرَه بما قَالَتْهُ «جَدَائِلُ» فَدَهِشَ الأَمِيرُ عندَمَا عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا من النَّاسِ يَعِيشُ فى هَذِه الْجَزِيرَة..

سَأَلَ الأَمِيرُ الْجُنْدِىَّ قَائِلًا:

- أَيْنَ وجَدْتَها؟

فأَجَابَ الْجُنْدِىّ:

- وجَـدْتُها تَحْتَ ظِـلَالِ هَـذِه الشَّجَـرة

الكبِيرَة، والتى تتدَلَّى مِنهَا غُصُونٌ كَالشُّعُورِ..

ولاَحظَتْ «جَدَائِلُ» أَنَّ الْجُنْدِىَّ يُشِيرُ إلَيْها، فنهَضَتْ وشَعْرُها يَنْسَدِلُ على ظَهْرِهَا، فبحثَتْ عن شَرِيطِها.. وربطَتْ شَعْرَها الطَّويل.. وسَارتْ قَلِيلاً.. فأَفَاقَتْ تمامًا.. وأَدْرَكَتْ أَنَّ ما تَراه لَيْسَ حُلْمًا.. إنَّه حَقِيقَـة.. حَقِيقَةٌ وَاقِعَـةٌ أَمَام عَيْنَيْهـا.. فَازْدادَتْ دَهْشتُهـا.. ورَكبتْ حِصَانَها فى صَمْتٍ وذُهُول.. وانْطلقَتْ يَتْبعُهَا مَوْكِبُ الأَمِيرِ.. وقِطَّتُهَا تُحاوِلُ اللِّحَاقَ بها.. والْعَصَافُير تَطِيرُ مِنْ حَوْلِهَا وكأَنَّهَا طَائِرٌ جَمِيلٌ، يَطِيرُ وسَطَ الطُّيورِ، فى خِفَّةٍ ورقَّةٍ وسُرور..

وكَانَ الْمَـوْكِبُ مـا يَـزَالُ بَعِيـدًا عَنِ الْبَيْتِ عِنْـدمَـا وَصَلَت الأَصْـواتُ والضَّجَّةُ إلى جَـدِّ «جَدَائِـلَ» فَخَرجَ مِنَ الْبَيْتِ مُـنْـزعِجًـا لِيَعْـرِفَ الْخَبـرَ.. رَأَى الْجَـدُّ حَفِيـدَتَـه فَـوْقَ حِصَانِهَا.. وخَلْفَهـا ذَلِكَ الموكِبُ الْعَجِيب، الَّذِى لم يَـرَ مِثْلَهُ مِنْ قَبْـل.. فَركِبَ حِصَانَهُ.. وأَسْرعَ



إلَيْهم.. فلَمَّا وصَلَ.. وقَفَ الْجَدُّ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ.. ووقَفَ الْجُنُودُ وقَائِدُهُم الأَمِيرُ «سَيْف» يَنْظُرُونَ إلَيْه.. وبَعْدَ قَلِيلٍ.. رَأَتْ «جَدَائِل» الأَمِيرَ قَائِدَ الْجُنودِ يَقْتَرِبُ مِنْ جَدِّها بِبُطْء.. وعِنْدَما وصَلَ إلَيْهِ.. أَخْرَجَ سَيفَهُ مِنْ غِمْدِهِ.. ورفَعَهُ فى الْهَواءِ.. ثم انْحَنَى أَمَامَ الْجَدِّ باحْتِرامٍ شَدِيدٍ.. وهو يَقُول:

- كَمْ أنا سَعِيدٌ برُؤْيَتِكَ أَيُّها الرَّجُلُ الْعَظِيم.. الْعَالِمُ الْحَكِيم..!!

فَتعجَّبَ الْجَدُّ وقالَ بدَهْشَةٍ:

- وهَلْ تَعْرِفُنِى..؟!

قال الأَمِيرُ:



- نَعَمْ.. أَلَسْتَ أنتَ حَكِيمُ هَذَا الزَّمان.. الَّذِى تُسَاعدُ كلَّ إنْسَان.. ؟

لقد تَعِبْتُ كَثِيرًا حتى اسْتَطَعْتُ أَنْ أَصِلَ إليكَ.. وجاء عَلَىَّ وَقْتٌ كِدْتُ فيه أَنْ أفقِدَ الأَمَلَ فى الْعُثورِ عَلَيْكَ.. لَكِنْ.. الْحَمْدُ لِلَّه.. أخِيرًا.. وصَلْتُ إلَيْكَ.. وأنتَ كما قَالُوا لى تمامًا.. ازْدادَتْ دَهْشَةُ الْجَدِّ وقَالَ:

- مَنِ الَّذى قَالَ لَكَ هَذَا..؟ مَنِ الَّذِى قَالَ لَكَ أَنِّى حَكِيمُ الزَّمانِ..؟

قال الأمِيرُ:

- كُلُّهُمْ قَالُوا هَذَا.. وآخِرُهُمْ ذلكَ الشَّيْخ الطَّيِّبُ الَّذِى قَابلْتُهُ قَبْلَ أَنْ أَحْضُرَ إلى هَذِه الجزِيرَةِ الْجَمِيلَة.. لَقَدْ وصفَكَ لِى وهأنَذا أَرَاكَ كما قَالَ تمامًا.. وسَكَتَ الأمِيرُ قَلِيلاً.. ثم قَالَ وهُوَ ينظُرُ إلى جَدِّ «جَدَائِلَ» باحْتِرَامٍ عَظِيم:

- أَلا تَرى يا سَيِّدى الشَّيخ الْجَلِيل.. أَنَّ كُلَّ الصِّفَاتِ تَنْطَبِقُ عَلَيْكَ.. وعلَى هَذَا الْمكَانِ الْجَمِيل الَّذِى تَعِيشُ فيه..؟

قال الْجَدُّ:

- على أَىِّ حَالٍ.. هل هُنَاكَ خِدْمَةٌ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُقدِّمَها لَك..؟

قال الأَمِيرُ:

- أنا لا أَسْتَطِيعُ الإِفْصَاحَ عَمَّا أُرِيدُه إلَّا لِحَكيم الزَّمان..

قال جَدُّ «جَدَائِلَ»:

- وهَلْ أنا (حَكِيمُ الزَّمَانِ) الَّذِى تَبْحَثُ عَنْهُ..؟

قال الأَمِيرُ:

- إنَّ الصِّفَاتِ التى سَمِعتُها مِنَ الشَّيخِ الطَّيِّبِ تَنطَبِقُ عَلَيْكَ يا سَيِّدِى.. والشَّيْخُ الطَّيِّبُ نَفْسُهُ يَبْحثُ عنكَ.. لأَنَّ لَكَ شَأْنًا عَظِيمًا.. ومَنْ يُصَاحِبُكَ يتعلَّمُ مِنْكَ الْكَثِيرَ.. وقال لى الشَّيْخُ الطَّيِّبُ أيضًا إنَّ (حَكِيمَ الزَّمَانِ) عِنْده سرٌ كَبِير.. يَحْتَفِظُ به مُنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ.. ومِنْ صِفَاتِه أنه لَا يَبُوحُ بالأَسْرَارِ.. ولهذَا لا أُرِيدُ أَنْ أتحدَّثَ عن سِرِّى إلا مَعَهُ.. قال جَدُّ «جَدَائِلَ»:

يا بُنَىَّ.. إنَّ اسْمِى حَكِيم.. وهَذَا مُجَرَّدُ اسْمٍ.. ولَكِنْ أَنْتَ تُرِيدُ- شخصًا.. صِفَتُه أنه (حَكِيمُ الزَّمانِ).. فكَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكَ..؟

قال الأَمِيرُ:

- تُسَاعِدُنِى بأَنْ تَجْعَلَنِى أَرَى يَدَكَ الْيُمْنَى.. لأَنَّ الشَّيْخَ الطَّيِّبَ قَالَ لى إنَّ فيها عَلَامَة..

هَلْ تَسْمَح..؟

فَتردَّدَ جَدُّ «جَدَائِلَ» قَلِيلًا ثم قال:

- وكَيْفَ عَرَفَ هَذَا الشَّيْخُ الطَّيِّبُ أَنَّ يَدِى فيها عَلَامَة..؟

قال الأَمِيرُ:

- هَذَا الشَّيْخُ الطَّيِّب كان يَعْرِفُ حَكِيمَ الزَّمَانِ.. فى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام.. ثم افْتَرقَا..

وظَلَّ الشَّيْخُ الطَّيِّبُ يبحثُ عَنْ حَكِيمِ الزَّمَانِ حتى الآنَ.. ويَعِيشُ على أَمَلٍ أَنْ يَلْقَاهُ فى يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام..

وسَكَتَ الأَمِيرُ قَلِيلاً ثم قال:

- هَلْ تَسْمَحُ بأَنْ أَرَى يَدَكَ الْيُمْنَى..؟

سَكَتَ جَدُّ «جَدَائِلَ» قليلاً.. ثم كَشَفَ عن يَدِهِ الْيُمْنَى.. فظَهَرَتْ فيها عَلَامَةٌ طويلَةٌ.. كأَنَّهَا أَثَرُ جُرْحٍ كَبِير.. فأَسْرَعَ الأَمِيرُ.. وجَلَسَ على رُكْبَتَيْهِ أمام جَدِّ «جَدَائِلَ».. وأَخَذَ يَدَهُ بينَ يَدَيْهِ.. وانْحَنَى يُقَبِّلُهَا فى احْترامٍ وخُشُوعٍ..

مَدَّ جَدُّ «جَدَائِلَ» يَدَهُ.. ورفَعَ الأَمِيرَ.. فلمَّا وقَفَ الأَميرُ على قَدَمَيْهِ.. قال:

- لقد تأَكَّدْتُ الآنَ.. أنكَ أنتَ حَكِيمُ الزَّمانِ.. ولا تستطيع يا سَيِّدِى أَنْ تَعرِفَ مِقْدارَ سَعادَتِي.. إلا بعدَ أَنْ تَعْرِفَ سِرِّى، الَّذِى أُرِيدُ أَنْ أُطْلِعَكَ وَحْدَكَ عَلَيه..

قال جَدُّ «جَدَائِلَ»:

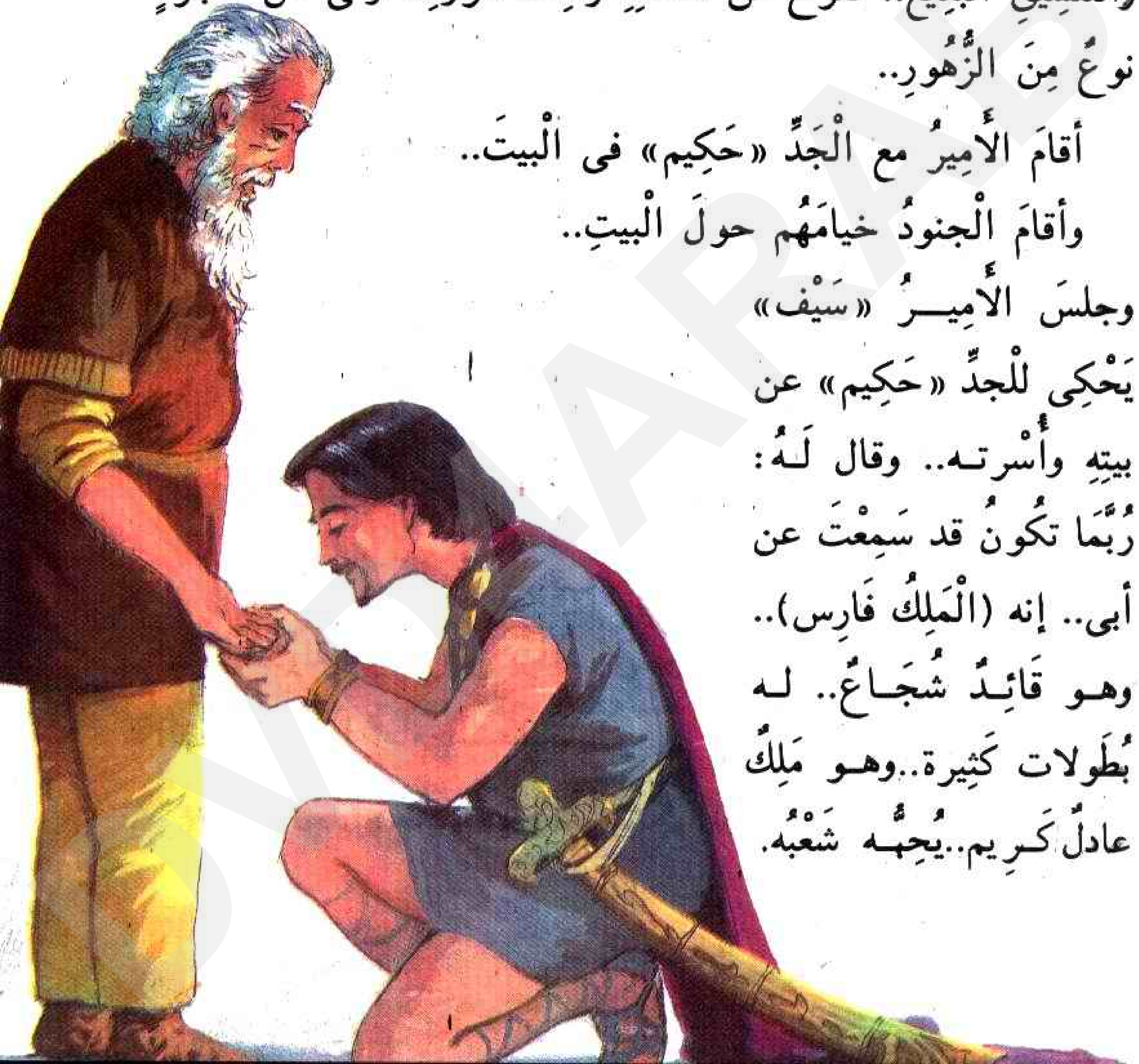
- لَيْتَنِى أسْتَطِيعُ مُسَاعدَتَكَ يا بُنَىَّ.. إنَّ اسْمِى - كما قُلْتُ لكَ - (حَكِيم).. ولَكِنِّى لستُ (حَكِيمَ الزَّمَانِ).. وعلى كُلِّ حَالٍ يُسْعِدُنِى أَنْ تُقِيمَ مَعَنا فى هَذِهِ الْجَزِيرةِ أَنْتَ ومَنْ مَعَكَ.. وسأُحَاوِلُ أَنْ أُساعِدَكَ بقَدْرِ ما أَسْتَطِيع..

قَبِلَ الأَمِيرُ هَذِهِ الدَّعْوةَ وشَكَرَ جَدَّ «جَدَائِلَ».. ودَخَلَ مَعَهُ الْبَيْتَ الصَّغِير.. فوجَدَه بَيْتًا بَسِيطًا.. ولكِنَّهُ آيةٌ فى الْجَمَالِ والنَّظَافَةِ والتَّنْسِيقِ الْبَدِيع.. تَفُوحُ من أنحائِهِ رَائِحَةُ الورْدِ.. وفى كُلِّ حُجْرةٍ نوعٌ مِنَ الزُّهُورِ..

أقامَ الأَمِيرُ مع الْجَدِّ «حَكِيم» فى الْبيتَ..

وأقامَ الْجنودُ خيامَهُم حولَ الْبيتِ..

وجلسَ الأَمِيرُ «سَيْف» يَحْكِى للْجدِّ «حَكِيم» عن بيتِهِ وأُسْرتِه.. وقال لَهُ: رُبَّمَا تكُونُ قد سَمِعْتَ عن أبى.. إنه (الْمَلِكُ فَارِس).. وهو قَائِدٌ شُجَاعٌ.. له بُطُولات كَثِيرة..وهو مَلِكٌ عادلٌ كَرِيم..يُحِبُّه شَعْبُه.



ويتمنى لـه طُول العُمْر..

قال الْجَدُّ «حَكِيم»:

- إنِّى يا بُنَىَّ قد تَرَكْتُ هذا الْعَالَمَ مُنْذُ مولِدِ حفيدَتِى «جَدَائل».. لقد ماتت أُمُّهَا بَعْدَ وِلاَدَتِهَا.. وماتَ أبوها بعد قَلِيل .. فأخَذْتُها وأقَمْتُ فى هَذِهِ الْجَزِيرَة.. التى لم يَكُنْ بها أَحَدٌ مِنَ النَّاس.. ومُنْـذُ ذلك الْوقت.. ونَحْنُ نُقِيمُ هنا.. بعيدًا عن الدُّنْيا وما فيها ومَنْ فيها..

بَعْدَ أَنَ اسْتَقَرَّ الأَميرُ «سَيْف» فى ضِيَافَةِ الْجَدِّ «حَكِيم».. جلسَ معهُ وَحْدَهُمَا وحَكَى له سِرَّه فقال:

- إنِّى يا سَيِّدِى الْحَكِيم.. أَشكُرُ اللَّهَ لأَنِّى وجَدْتُكَ.. وأَشْعُرُ أَنَّ حَلَّ مُشْكِلَتِى سَيَكُونُ على يدَيْكَ.. إنَّهَا ليست مُشْكِلَتى أنا فى الْحقيقةِ.. ولَكِنَّها مُشْكلة أَبِى الْمَلِك الْعَظِيم «فَارِس».. إنَّهُ مَرِيضٌ.. ولا أَحَدَ مِنَ الشَّعْبِ يَعْرِفُ هَذَا.. فمَرَضُه سِرٌّ.. لَا يعرِفُه إلَّا المَلِكُ والمَلِكَةُ والْوزيرُ والطَّبِيبُ.. وأنا ابنه «سَيْف»..

وهو مرضٌ عَجِيبٌ غَرِيب.. حَارَ فيه الطَّبِيب.. وحَـارَ فيه كُـلُّ أَطِبَّاءِ الدَّوْلة.. والمرضُ يَزْدَادُ كُلَّ يوم .. حتّى أنَّ أبى لم يَعُدْ يَستطيعُ الظُّهورَ كَثيرًا أمامَ الشَّعْبِ..

قال الْجَدُّ «حَكِيم»: وهَلْ يَشْكُو الْمَلِكُ من شَىْءٍ مُعَيَّن..؟



قال الأَمِيرُ: الْعَجِيبُ أنه لا يَشْكُو مِنْ شَيْءٍ خَاصٍّ.. ولكنَّهُ دَائِمًا يَشْعُرُ بالتَّعَبِ.. ومُنْذُ عامَيْنِ.. فى مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ السَّنَةِ.. فى أَوَائلِ الرَّبِيعِ.. وجَدْنَا الْمَلِكَ حَزِينًا.. يَنْظُرُ إلى السَّماءِ.. وكأَنَّهُ يُعَاتِبُ نَفْسَه على شَيْءٍ فَعَلَه..

ومنذ ذَلِكَ الْوَقْت.. وهو يُلَازِمُ الْفِرَاش.. ثم حَدَثَتْ ظَاهِرةٌ غَرِيبةٌ:

بدأ شَعْرُهُ الأَسْوَدُ الثَّقِيلُ يَتَساقَط.. حتى أَصْبَحَ خَفِيفًا جِدًّا..

وأَخَذَ يَقولُ لى دائمًا:

– ابْحَثْ لى عن (حَكِيمِ الزَّمَان).. فهو دَائِى ودَوَائِى..

قال الجَدُّ «حَكِيم»:

– قد يكُونُ سقوطُ شَعْرِ الْمَلِكِ نَتِيجَةً لضَعْفِه.. هل يَأْكُلُ جَيِّدًا..؟

أجاب الأَمِيرُ:

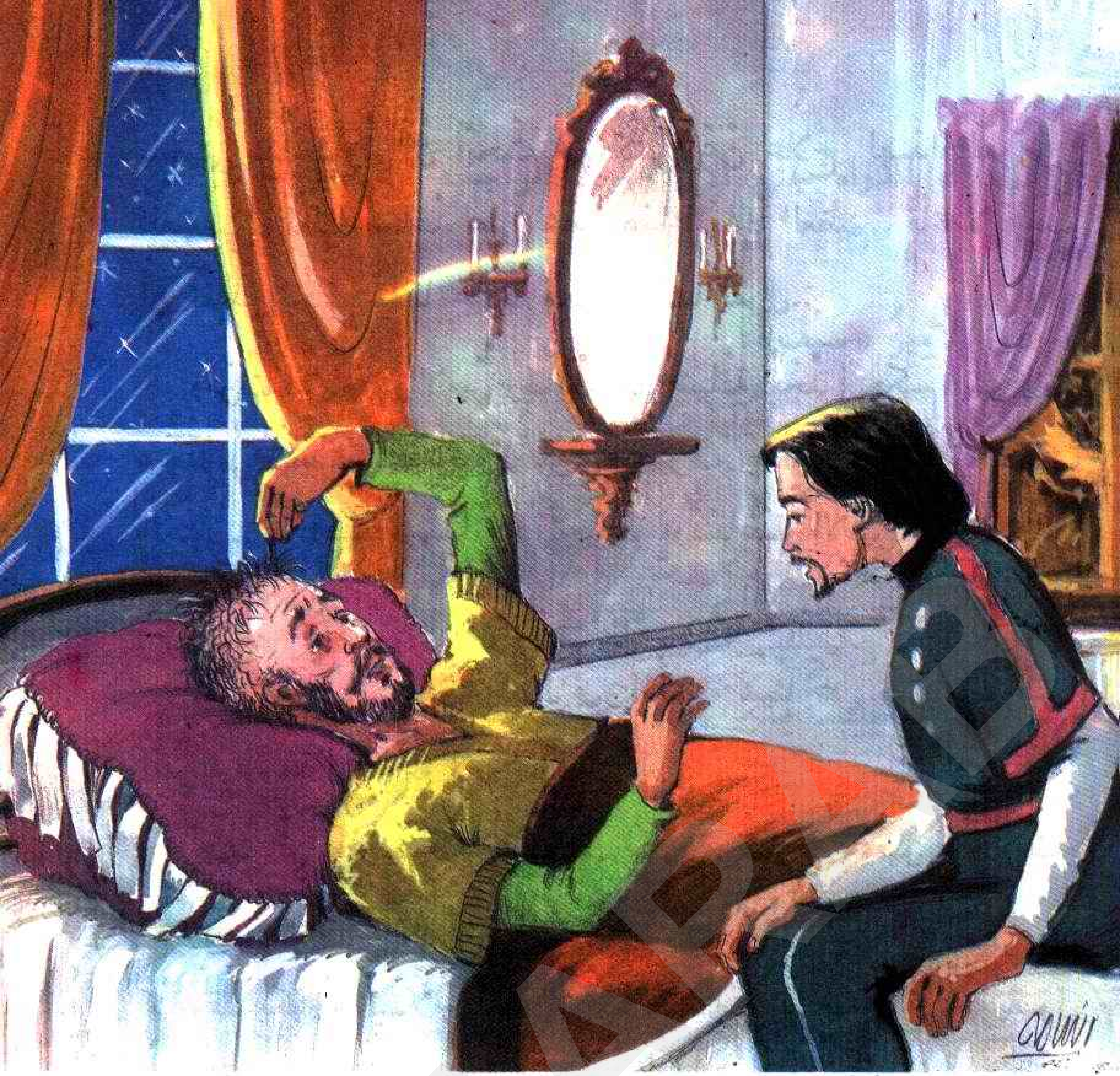
– فى الْحقِيقَةِ.. أَنَّ الْملِكَ أَصبَحَ قَليلَ الرَّغبَةِ فى الأَكْلِ.. وأصبَحَ طَعامُه قَلِيلًا جدًّا..

وسكتَ الأميرُ وتردَّدَ قَلِيلًا.. ثُمَّ قال:

– وعِنْدنَا فى بلادِنَا اعْتِقَادٌ سائِدٌ بأَنَّ مَنْ يَتساقَطُ شَعرُهُ مِنْ غيرِ سَبَبٍ.. يكونُ قد فَعَلَ ذَنْبًا فى حَقِّ شخصٍ آخَرَ.. واللَّهُ لا يَرْضَى عن الذُّنوبِ..

والناسُ فى بلادِنَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشخصَ الْمُذْنِبَ عِندَما يَشْعُرُ بذَنْبِهِ.. ويطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ من اللَّهِ.. فإِنَّ اللَّهَ يُكفِّرُ عن ذَنْبِهِ بِسُقُوطِ شَعْرِه..

وفى نَفْسِ الوقْتِ يَظهَرُ للشَّخْصِ الآخَرِ شَعْرٌ جَدِيدٌ جَمِيل.. ويَكونُ هذا الشَّعْرُ الجَديدُ الجَميلُ هو الدَّواءُ الَّذِى يَشْفِى الشَّخصَ الْمُذْنِبَ المريض..



ونحنُ نَخْشَى أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ حقيقةَ مَرَضِ الْمَلِكِ، فيَكُونُ هَذَا عَلَامَةً سَيِّئَةً فى حَقِّ الْمَلِكِ الْعَظِيم «فَارِس»..

اسْتَمَعَ الْجَدُّ «حَكِيم» لِكلَامِ الأَمِير.. وفكَّرَ قليلاً.. ثُمَّ قالَ:

- هَذَا اعْتِقَادٌ غَرِيبٌ حَقًّا.. ولَكِنْ لِكُلِّ بلدٍ مُعْتَقَدَاتُـهُ.. وأنا مِنْ

نَاجِيَتى سأُحـاوِلُ أَنْ أبْحثَ فى كُتُبِى عَنْ علاجٍ لهـذَا المرضِ العجيبِ.. لَعَلِّى أُساعدُ على شِفاءِ هذا الْمَلِكِ العظيم.. فأنا لا أُحِبُّ أن تَفْقِدَ بلادُكُم مِلكًا عادلًا محبوبًا كما تَقُول..

ومَرَّتْ الأَيَّامُ.. والأَمِيرُ وجنُودهُ فى ضِيافَةِ الْجَدِّ «حكيم».. وكانت «جَدَائِلُ» تَصْنَعُ الطَّعَامَ والْحَلْوَى لِضُيوفِ جَدِّهَا.. والْجَدُّ يَبْحَثُ فى الْكُتُبِ.. تُسَاعِدُه «جَدَائِلُ» أحيانًا.. ويُسَاعِدُه الأَمِيرُ «سَيْف» فى بَعْضِ الأَحْيَانِ..

ومَرَّتِ الأَيَّامُ.. ولم يَجِدُوا فى الكُتبِ شيئًا عن هـذا المرضِ الغرِيبِ.. فقال الجَدُّ «حَكِيم»:

– يَظْهَرُ أَنَّ هَذا مَرضٌ نَفْسِىّ.. وليسَ مرضًا فى عُضْوٍ من أعضاءِ الجِسْمِ.. ولهذا فهُو لَا يُعَالَجُ بالدَّواءِ..

وقد يكونُ الْعِـلَاجُ عندَ الْمَلِكِ نفسِـه.. إذا استطَاعَ أَنْ يقـولَ ما يُخْفِيهِ.. ورُبَّما كان المرضُ مُرْتَبِطًا بالاعْتِقَادِ السَّائِدِ فى بلادِكُمْ.. وربما كان الْمَلِكُ مُعْتَقِدًا بأن سُقُوطَ شَعْرِه دَلِيلٌ على أَنَّ اللَّهَ سيغْفِرُ لَهُ ذنبَه..

وفى يَومٍ مِنَ الأَيَّامِ.. قال الْجَدُّ «حَكِيم» للأَمَيرِ «سَيْف»:

– لقد تأَخَّرْتَ كَثِيرًا فى الْعَوْدَةِ إلى أَبِيكَ الْمَلِكِ «فَارِس».. مِنْ غيرِ

أَنْ تَجِدَ لَهُ الدَّواءَ حتَّى الآن.. ومِنَ الواجبِ أَلَّا تَتَأَخرَ أَكْثَرَ مِنْ هَذا..

قال الأَمِيرُ «سَيْف»:

- يَا سَيِّدِى الشَّيخ الْجَلِيل.. لقد عِشْتُ مَعك فترةً.. وعرفْتُكَ عن قُرْب.. وأنا الآنَ أَعْتَقِدُ أنكَ (حَكِيمُ الزَّمَانِ).. لأَنَّهُ لا يُوجَدُ أَحَدٌ مِثْلَكَ فى كُلِّ البلادِ التى مَرَرْتُ بِهَا.. ولم أُقَابِلْ قبلَ هذا شَخْصًا فى مِثْلِ عِلْمِكَ وحِكْمَتِكَ.. فأرجو أَنْ تَقْبلَ طَلَبِى، وتُسَافِرَ مَعِىَ، إلى حيثُ يُقِيمُ الْمَلِك.. فمَنْ يَعْلَم..؟ قد يَجْعَلُ اللَّهُ شِفَاءَ المَلِكِ على يَدَيْكَ..

وسَكَتَ الأَمِيرُ.. وقد تَرَقْرَقَتِ الدُّمُوعُ فى عَيْنَيْهِ.. وهو يَتَذَكَّرُ أَبَاهُ المريضَ.. ثُمَّ نظرَ إلى الْجَدِّ «حَكِيم» نَظْرَةً فيها حِيرَة ورَجاء..

اسْتَجابَ الْجَدُّ «حَكِيم» لِطَلَبِ الأميرِ «سَيْف».. ووَعدَهُ بالسَّفرِ معهُ إلى بلادِ الملكِ «فَارِس»..

بَدَأَتْ «جَدائِلُ» تُجَهِّزُ ما يَحْتاجُونَهُ فى السَّفَرِ.. وقَدَّمَ الأميرُ صُندوقًا جميلًا إلى الْجَدِّ «حَكِيم» وقالَ لَهُ: أَرْجُو أَنْ تَقْبَلَ مِنِّى هذهِ الْهَدِيَّةَ الْمُتواضِعَة.. إنَّهَا بعضُ الْجَواهِرِ التى أحضَرْتُهَا مَعِى.. لأَبِيعَها عِندما أحتاجُ إلى نُقُود.. والحمدُ للَّهِ.. لقد هَدَانى اللَّهُ إلَيكُمْ.. فَلَقِيتُ

مِنْ كَرَمِكُمْ ما جعلَنِى فى غَيرِ حاجةً إلى أَنْ أبيعَ شيئًا مِنْها. ونَحْنُ الآنَ عائِدُونَ إلى بلادِ المَلِكِ «فَارِس».. ولهذَا فإنِّى لم أَعُدْ فى حاجَةٍ إلى هذهِ الجَواهِر.. التى أقدِّمُها كهديّةٍ متواضِعَةٍ.. لا تُسَاوِى شَيئًا إلى جِوارِ ما لَقِيتُه هُنا مِنْ عَطْفٍ وكَرَمٍ.. وما تَعَلَّمْتُه مِنْ عِلْمٍ وحِكْمَةٍ..



فقَبِلَ الْجَدُّ «حَكِيم» الهَدِيّةَ.. وشكرَ الأَمِير..

وفى مِيعَادِ السَّفرِ، أَمَرَ الْجَدُّ حَفِيدَتَهُ بألَّا تُظْهِرَ شَعْرَها، إلا وقْتَ وُصولِهِمْ إلى قصرِ الْملكِ.. وأن تَضَعَ على شَعْرِهَا بعضًا من الجواهرِ التى أهْدَاهَا لَهُمَا الأَمِير، وأَنْ تُحَافِظَ عَلَيها أشدَّ الْمُحافظةِ.



رَحَلَ المَوْكِبُ عن الجزيرةِ، ومَعَهُ الْجَدُّ وحَفِيدَتُهُ.. وكان فى وَداعِ الْمَوْكِبِ الطُّيورُ والْحَيوانَاتُ الصَّغيرة.. وكانَت الْعصَافِيرُ تَطِيرُ من فَوْقِ رُءُوسِهِم.. تُزَقْزِقُ وكأنّها تَبْكِى.. والأَزهارُ تتَمَايلُ.. كأنها تُلَوِّح لَهُمْ بِالأَيْدِى.. والنَّهرُ يَجْرِى ويَجرِى.. كى يكونَ قريبًا من ذلك المَوْكِبِ حتّى النِّهاية.. وكانتْ «جَدَائِلُ» تُلْقِى بالْحَبِّ على الأَرْضِ للْعصافيرِ.. وتُلَوِّحُ لكلِّ شَىْءٍ فى الجَزِيرة مُودِّعَةً.. ومَرَّ الْمَوكِبُ بِبِلَادٍ وبلَادٍ.. وكان يَقِفُ عِنْدَ كُلِّ بَلَدٍ للرَّاحَةِ..

ولَمْ يذكرُ الْجَدُّ «حَكِيمٌ» أو «جَدَائِلُ»، سَبَبَ سَفَرِهم إلى بلادِ الْمَلِك «فَارِس» لأَحدٍ من الْفُرسانِ.. فقد كان المَوكِبُ الْمُرافِقُ للأَمِير «سَيْف» لَا يَعْلم شيئًا عن مَرضِ الْمَلكِ.. لأَنَّهمْ صَاحَبُوا الأَمِيرَ فى رَحلَاتِهِ، ظَنًّا مِنْهُم أَنَّه يَبْحَثُ عن «حَكِيم الزَّمَانِ» لأَمْرٍ يَخُصُّهُ هُوَ، ولا يَخُصُّ الْمَلِك.. وانْتشرَ بين الْمَوْكِبِ، أَنَّ الأَمِيرَ سيَتزوجُ «جَدَائِلَ».. ولهذا جاءَت هِىَ وَجدُّها مَعَهمْ إلى بلادِهِم.. لإتمام مَرَاسِمِ الزَّواجِ.

وفى بَلَدٍ مِنَ البلادِ التى مَرُّوا بها.. اشْتَرى الْجَدُّ «حَكِيم» لحفيدَتِهِ «جَدَائِلَ» ثوبًا جميلًا من الْحَريرِ الأبيضِ.. بِهِ نُقُوشٌ من الْوردِ.. كما اشْتَرى لَها حِذاءً فِضِّيًا.. وَوِشَاحًا بديعًا من الحريرِ.. طلبَ منْها أَنْ تُغطِّى به شَعْرَها.

وعندَمَا وصَلَ الْمَوكِبُ إلى بِلادِ الْمَلِكِ «فَارِسَ».. وَجَدُوا جُمُوعَ الشَّعْبِ فى اسْتِقْبالِهِمْ وأخذَ النَّاسُ يُلْقُونَ علَيْهِم الورودَ والرَّياحِين..

وعَمَّتِ الشَّعْبَ كُلَّهُ فَرْحَةٌ كَبيرةٌ، لِعَوْدَةِ الأَمِيرِ إلى الْبِلَادِ بعدَ هذهِ الْغَيْبَةِ الطَّوِيلَة..

وأَخَذَ الْجَمِيعُ يَتَساءلُون: مَنْ هَذِهِ الْفَتَاة..؟ ومَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْكَبِير..؟

وانْتَشَرَ بَيْنَ الشَّعْبِ أَنَّ هَذِهِ الْفَتاة هِىَ «الأَمِيرَةُ الْقَادِمَة».. فَازْدَادَتْ فَرْحَةُ النَّاسِ.. وأَقَامُوا اللَّيَالِىَ السَّعِيدَة، احْتِفالاً بِرُجُوعِ الأَمِيرِ.. ومَا توقَّعُوهُ مِنْ خِطْبَتِهِ لِهَذِه الْفَتَاة الْجَمِيلَة..



دَخَلَ الأَمِيرُ «سَيْف» الْقَصْرَ.. ومَعَهُ الْجَدُّ «حَكِيم» وحَفِيدَتُه «جَدَائِل».. وَهِىَ تَرْتَدِى ثَوْبَها الْحَرِيرىَّ الأَبْيَض.. وقَدْ أَطْلَقَتْ شَعْرَهَا الأَسْوَدَ الطَّوِيلَ وراءَ ظَهْرِها.. وزَيَّنَتْهُ بالْجَواهِرِ كما قَالَ

لَهَا جَدُّهَا.. ووضَعَتِ الْوِشَاحَ حَوْلَ وجْهِهَا.. ووضَعَتْ فى أَحَدِ أَصَابِعِهَا خَاتَمًا جَمِيلًا بَدِيعًا أَعْطَاهُ لَها جَدُّها.. ولَمْ يَكُنْ مِنْ جواهِرِ الأَمِيرِ «سَيْف»..

وكانَ فى اسْتِقْبالِهِمْ كِبارُ رِجالِ الدَّولَةِ وعلى رأسِهِم الوَزِيرُ وطَبيبُ الْمَلِك.. ثم حَضَرَتِ الْمَلِكَةُ لاسْتِقْبَالِهِم..

وكانَ الْقَصْرُ آيةً مِنْ آياتِ الجَمالِ.. وجُدْرانُه تُزَيِّنُهَا النُّقوشُ الْفَنِّيَةُ الْبَدِيعَةُ المَطْلِيَّةُ بماءِ الذَّهبِ.. وأرضُه يُغَطِّيها السَّجادُ الْفاخِرِ..

وفى كُلِّ مكانٍ.. لا تَقَعُ العَيْنُ إلاّ على لَوْحَةٍ رَائِعَةٍ.. أو تُحْفَةٍ ثَمِينَةٍ مُزَيَّنَةٍ بالآلِئِ والأَحْجارِ الْكَرِيمَة..

رَحَّبَ الْجَمْيعُ بالْجَدِّ «حَكِيم» وحَفِيدَتِه «جَدَائِلَ».. وحَكَى الأَمِيرُ «سَيْف» لِلْمَلِكَةِ والْوَزيرِ كُلَّ ما حَدَثَ لَهُ.. وكيفَ بَحثَ وسَأَلَ.. حتَّى وَصَلَ إلى الْجَدِّ «حَكِيم» وكَيفَ اسْتَجابَ الْجَدُّ لِرجَائِه، فحضَرَ مع حَفِيدَتِه..

شَكَرَت المَلِكَةُ والْوَزِيرُ الْجَدَّ «حَكِيم».. ورحَّبَا بِهِ وبحفيدته «جَدَائِل» مَرَّةً أُخْرَى..

وعِنْدَمَا أَرادُوا الذِّهابَ إلى مُقابلَةِ الْمَلِك.. طَلَبَ مِنْهُم الْجَدُّ «حَكِيم» أَنْ تَذْهَبَ «جَدْائِلُ» وحْدَهَا فى أَولِ الأَمْرِ.. فَوافَقُوا جَمِيعًا وقَالَتِ الْمَلِكَة:



لَكَ ما تَشاءُ يا «حَكِيمَ الزَّمان»..

وجلَسَ الْجَدُّ مع حَفِيدَتِه «جَدَائِل» ووضَّحَ لها ما تَعْمَلُهُ عِنْدَمَا تُقَابِلُ الْمَلِك.. وطَلَبَ منْها أن تُنَفِّذَ كلامَهُ بكلِّ دِقَّة..

سَارَتْ «جَدَائِلُ».. بثَوْبِهَا الْحَرِيرِيِّ الأَبْيَضِ الْمَنْقُوشِ بالْوَرْدِ.. وشَعْرِها الأَسْود الطَّوِيل.. الَّذِى تَلْمَعُ فِيهِ الْجَواهِر.. كأنها نُجومٌ فى سَماءِ اللَّيْل.. فَظَهرتْ «جَدَائلُ»
وكأَنَّها مَلَاكٌ يَسِيرُ فى طُرقَاتِ الْقَصْرِ الْبَدِيع..

وعِنْدَما اقْتربَتْ مِنْ حُجْرَةِ الْمَلِكِ.. شَعَرتْ بقَلْبِها يَدُقُّ بِشِدَّةٍ.. ولَكِنَّها طَرقَتِ الْباب بِرِفْقٍ.. ثُمَّ دخَلَت الْحُجْرةَ بِهُدُوءٍ.. واقْتربَتْ مِنْ فِرَاشِ الْمَلِكِ.. فوجدَتْهُ نَائِمًا، وقَدِ ارْتَسَمَتْ على مَلَامِحِه عَلَامَاتُ الْحُزْنِ والأَلمِ..

وَقَفَتْ «جَدَائِلُ» لَحظَاتٍ تَسْتَجْمِعُ فيها قُوتَها وشَجَاعتَها.. ثم اقْتَربَتْ أَكثرَ مِنْ سَرِيرِ الْمَلِكِ.. ونَادَتْهُ بِصَوْتٍ خَافِت:

- مَوْلَاى..

فاسْتَيْقَظَ الْمَلِكُ على هَذَا الصَّوتِ الرَّقيقِ.. وفَتَّحَ عَيْنَيْهِ.. فَحَسِبَ نَفْسَهُ يَحْلُمُ.. وحَسِبَ أَنَّهُ يَرَى فى الْحُلْمِ مَلَاكًا جَمِيلًا.. ولم يَتَبَيَّنْ مَلَامِحَ وَجْهِ «جَدَائِلَ» لأَنَّها كانَت تُغَطِّى جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ وجْهِهَا بِالْوِشَاحِ الْحَرِيرِىِّ الأَبْيَضِ..

واسْتَدَارَتْ لِتخْلَع الوِشَاح.. فَرَأى الْمَلِكُ شَعْرَها الأَسْوَدَ الطَّويلَ.. والْجَواهِرَ تَلْمَعُ فيهِ كأنَّها نُجُومُ اللَّيل..

فَفَتَّحَ الْمَلِكُ عَيْنَيْه يَنْظُرُ إلى هَذَا الشَّعْرِ الطَّويلِ مَبْهُورًا ثُمَّ الْتَفَتَتْ إلَيه «جَدَائِلُ» وقد كَشفَتْ عن وجْهِها.. فزادَتْ دَهْشَةُ الْمَلِكِ.. وزاد انْبِهَارُهُ.. وشَعَرَ كأنَّهُ يَنْتَقِلُ إلى عَالَمٍ آخرَ.. وقال يُحَدِّثُ نَفْسَه:

– مِنَ المُؤكَّدِ أنِّى رأيتُ هَذَا الْوجَهَ مِنْ قَبْل. ثم نَظرَ إلَيْها طويلاً.. وكأنَّهُ يُحَاوِلُ أن يتذكَّرَ شَيْئًا حدَثَ مُنذُ زَمنٍ بَعِيدٍ..

وقالَ بِصَوتٍ ضَعِيف:

– مَنْ أنْتِ..؟ وما اسْمُكِ..؟

فأجَابَتْ:

– أنا حَفِيدَةُ «حَكِيم الزَّمان».. واسْمِى «جَدَائِل»..

فَظَهرَتْ عَلَاماتُ السَّعادَةِ على وَجْهِ الْمَلِكِ.. وملأَتِ الْفَرْحَةُ نَفْسَهُ.. وقال:

– حَكِيمُ الزَّمَان.. هَلْ أتى مَعَكِ «حَكِيمُ الزَّمَان»..؟؟

قالَتْ: نَعَمْ..

فقالَ الْمَلِكُ: وكيفَ عَرفْتُمْ بمرَضِى..؟

فقالَتْ «جَدَائِلُ»:

- مِنَ الأَمِير «سَيْف».. لَقَدْ أتى إلى جَزِيرَتِنا.. التى أعيشُ فيها أنا وجَدِّى.. وقَصَّ عَلينا حِكَايتَكَ يا مَوْلاى..

وكان الْمَلِكُ يَنْظُرُ إلَيْها وهى تتكلَّمُ.. فَوقعَتْ عَيْنُهُ على الْخَاتِمِ الَّذِى فى إِصْبُعِها..

فأَخَذَ يتأَمَّلُهُ باهْتِمامٍ شَدِيد.. ثم قال:

- إنَّهُ خَاتَمٌ جَمِيل.

ثم نَهَضَ فَجْأَةً وسأَلَهَا بصَوْتٍ قَوِىّ:

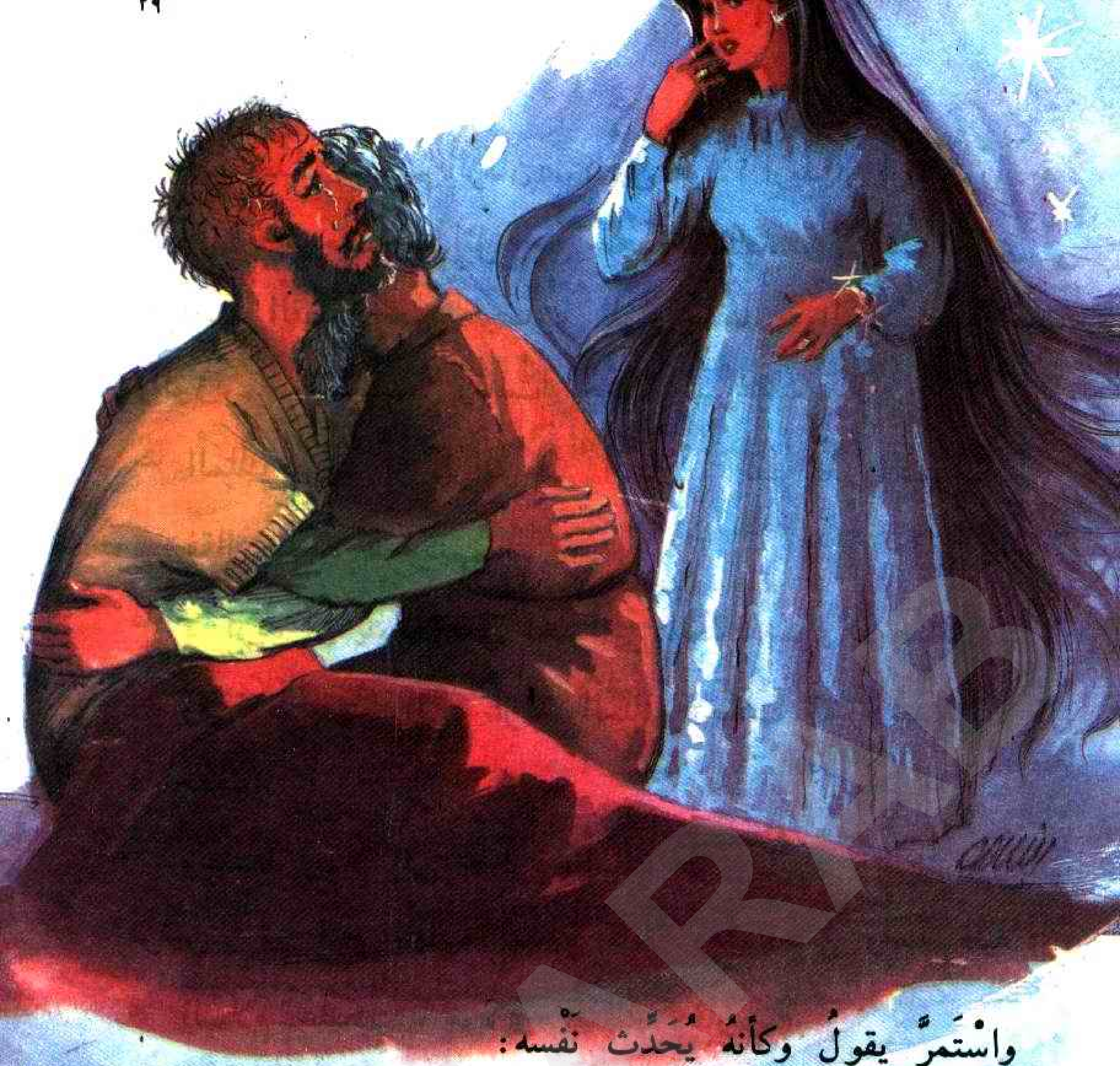
- مِنْ أَيْنَ جِئْتِ بهذَا الْخاتَم..؟

فَتراجَعَتْ «جَدَائِلُ» إلى الوَراءِ فى دَهْشَةٍ.. وقالَت:

- مَاذَا بِكَ يا مَوْلَاى..؟ إِنَّهُ خَاتَمُ جَدِّى.. فما سَبَبُ هَذَا السُّؤَال؟

قالَ الْمَلِكُ:

- مِنَ الْمُؤَكَّدِ - أَنِّى رَأَيْتُ هذَا الخاتَمَ مِنْ قَبل.. ورأَيْتُكِ أَنْتِ أيضًا.. رأَيْتُكِ وأَنْتِ تَلْبَسِينَ نَفْسَ الثَّوْبِ الأَبْيَضِ.. رأَيتُكِ بشَعْرِكِ الأَسْوَدِ الطَّوِيلِ.. الَّذى تُزيِّنُه نَفْسُ هَذِهِ الْجَواهِر.. ورأيتُ وِشاحَكِ الأَبْيَضَ.. حَتَّى حِذَاؤُكِ الْفِضِّىّ.. رأيتهُ مِنْ قَبْل..



واسْتَمرَّ يقولُ وكأنهُ يُحَدِّث نَفْسه:

- متَى كان هَذا..؟ وكيفَ..؟ شَيْءٌ عَجِيب..!!

وكانتْ «جَدَائِل» تنظرُ إلَيْه بدَهْشَةٍ.. فلَاحَظَتْ أنَّ علَاماتِ الْحُزْنِ والأَلَمِ الّتي كانَت على وَجْهِهِ قد تَغَيَّرتْ.. وحَلَّتْ مَحَلّها مَلَامحُ السَّعادةِ والأَمَلِ..

ثم قالَ:

- أيْنَ جَدُّكِ «حَكِيمُ الزَّمان».. ؟ أيْنَ هُوَ..؟ أُرِيدُ أنْ أَرَاهُ فَوْرًا.. فى الْحَال.. فَخرجَتْ «جَدَائِل» مِنْ حُجرَةِ الْمَلِكِ.. وأَسْرعَتْ تَجْرِى فى طُرقَاتِ الْقَصْرِ حتى وَصَلَتْ إلى جَدِّها.. والْمَلِكَةِ.. والأَمير.. والوزير.. والطَّبيب.. وقالَتْ لِجَدِّهَا بِسُرْعةٍ:

- الْمَلِكُ يُرِيدُ أنْ يَرَاكَ فى الْحَال.. لَقدْ تَغَيَّرَ كَثِيرًا..

فقال الْجَدُّ «حَكِيم»:

- لَا أُرِيدُ أنْ يَصْعَدَ مَعِي أَحَدٌ إلى الْمَلِكِ سِوَى «جَدَائِل»..

وفى طَرِيقهِمْ إلَى غُرفَةِ الْمَلِكِ، حَكَتْ له «جَدَائِلُ» كُلَّ ما حَدَث..

وعِنْدَمَا وصَلَا إلى حُجْرةِ الْمَلِكِ طَرقَ الْجَدُّ «حَكِيم» الْبابَ مَرّتَيْنِ.. ثم فَتَحَ الْبابَ بهُدُوءٍ قائلًا وقَدْ أَحْنَى رأسَهُ قليلًا:

- السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يا مولَاىَ الْمَلِك «فَارِس»..

فالْتفتَ الْمَلِكُ، وقالَ: مَنْ؟

قال الْجَدُّ:

- أنا «حَكِيمُ الزَّمَانِ» جِئْتُ لِمُسَاعَدَتِكَ يا مَوْلَاى، وتَذْكِيرِكَ بما مَضَى..

ثم رفَعَ الْجَدُّ «حَكِيم» وجْهَهُ، ونظَر إلى الْمَلِكِ نَظْرَةً جَعَلَتْهُ يقولُ:

- مَنْ..؟ مَنْ أَنْتَ..؟ هَلْ هَذَا مَعْقُول..؟!!

واقتربَ الْمَلِكُ مِنْ «حَكِيم الزَّمَان» وقالَ:

- «أَنْتَ أَبِى!!» يا لَلْمفاجَأَةِ.. هَلْ هَذَا مَعْقُول..؟!

ثم ارْتَمَى بَيْنَ أَحْضَانِ «حَكِيم» وهُوَ يَقولُ:

- «اغْفِرْ لِى يا أَبِى»، ما كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ حَىٌّ تُرْزَق.. لَقَدْ أَسَأْتُ إلى أَخِى الصَّغِيرِ «الأَمِير سَالِم».. وطَرَدْتُه مِنَ البِلادِ، حتّى لَا ينازِعُنِى فى الحُكْمِ، وغَضِبْتُ عَلَيْهِ وعلى زَوْجَتِهِ.. ابْنَةِ الْعَمِّ الّتى لَا ذَنْبَ لَها.. وعِنْدَما عَلِمْتُ أَنّها ستَضَعُ فى أوائلِ الرَّبيعِ مَوْلُودًا سارعْتُ بالتّخلُّصِ مِنْها.. وطَرَدْتُها هِىَ أيضًا خارجَ الْبِلادِ..

لقد كُنْتُ إنسانًا سَيِّئًا يا أَبِى.. وأَعْمانِى الطَّمَعُ والرَّغْبَةُ فى الْحُكْمِ.. أَرْجُوكَ يا أَبِى أَنْ تُسامِحَنِى.. لقدْ قَضَيْتُ طُولَ عُمْرِى أَسْأَلُ اللّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِى..

وقد نَدِمْتُ حَقًّا بعْدَ أَنْ عَلِمْتُ أَنَّ زَوْجَةَ أَخِى قد وضَعَتْ مَوْلودَةً صَغِيرَةً.. ثم تُوفِّيَتْ.. ولحِقَ بها أَخِى.. إنّى أَشْعُرُ بالنَّدَمِ الشَّدِيد..

أَرْجُوكَ يا أَبِى.. أنَا فى حَاجَةٍ إِلَيْكَ..

وأخَذَ الْمَلِكُ يَبْكِي بحَسْرَةٍ وألَمٍ.. و«جَدائِل» تنظُرُ في دَهْشَةٍ وذُهولٍ.. وهي لا تكَادُ تُصَدِّقُ أُذُنَيْها..

وفَجْأَةً أحَسَّتْ «جَدائِل» بالدُّموعِ تَطْفِرُ مِنْ عَيْنَيْها.. وهي تَهْمِسُ إلى نَفْسِها قائلة:

ما هَذَا الَّذِي أَسْمَعُهُ..؟

هَلْ هَذِه حَقِيقَة.. أَمْ أنا في حُلْمٍ..؟

الأَمِيرَ «سَالِمُ» هُوَ أَبِي.. !! والْمَلِكُ «فَارِسُ» هُوَ عَمِّي.. !! وجَدِّي «حَكِيم» هُوَ أَبُو الْمَلِكِ.. !!

هَلْ هذا هُوَ السِّرُّ الَّذِي كان جَدِّي يُخْفِيه؟..

يا لَهُ مِنْ سِرٍّ كَبِيرٍ..

واتَّجَهَ الْمَلِكُ «فَارِس» إلَى «جَدائِلَ» وَهُوَ يقولُ:

– ابْنَةَ أَخِي الْعزِيزَة.. سَأُعَوِّضُك عَنْ كلِّ ما فات.. هلْ تَعْلَمِينَ أنِّي أَرَى فِيكِ والِدَتَكِ أَمَامِي.. إنَّكِ تُشْبِهِينَهَا تَمامًا.. في الشَّكلِ.. والصَّوْتِ والحرَكَةِ.. أرجُوكِ يا ابْنَتِي.. سَامِحِينِي يا «جَدائِل»..

قَبَّلَ الْمَلِكُ «فَارِس» ابْنَةَ أخِيهِ بِحَنان.. بَيْنما كان الجَدُّ «حَكِيم» يُرَبِّتُ على كَتِفِ الْمَلِك.. ويَقولُ له:

– كفَى كفَى.. هَوِّنْ عَلَيْكَ يا ولَدِي..



وهنا دَخلَ الأَمِيرُ «سَيْف».. فرأى هذَا الْمَوقف.. ووقَفَ مَدْهُوشًا.. لَا يفْهَم شيئًا مِمَّا يَرَى ويسْمَع..

ولَاحظَ الْمَلِكُ وجودَ ابْنِه «سَيْف».. فأَخذَهُ مِنْ يَدِهِ.. وقال لَهُ:

- «هذهِ ابْنَةُ عَمِّكَ الأَمِير «سَالِم».. وهذَا أبى السُّلْطَانُ الْكَبِير «حَكِيم».. وهو «حَكِيم الزَّمَان» الَّذى كُنْتُ فى حاجةٍ شَديدةٍ إلَيه..

لقدْ كان فى وقتِهِ أَعْظَمَ النَّاس.. وأكْثرَهُمْ حِكْمةً..

وفى إحدَى المعَاركِ بيْنَنا وبيْنَ الأَعْدَاءِ اخْتفَى.. وبَحثنَا عَنْه.. فلَمْ نَجِدْه.. فحَسِبَ الْجَمِيعُ أنَّهُ ماتَ.. وحَزِنَ الشَّعْبُ كُلُّه حُزْنًا طوِيلًا.. ولكنِّى كُنْتُ أُحِسُّ دائمًا أنَّ أبى حَىٌّ.. ولهذَا كنتُ أقولُ لَكَ يا «سَيْف» أَحْضِرْ لى «حَكِيمَ الزَّمان» إنَّهُ دَائِى ودَوائِى..

والْتفتَ الْمَلِكُ «فَارِس» إلى أبيهِ «حَكِيم» واسْتمرَّ يَقولُ:

- إنَّ أَبِى هو الَّذى يَسْتطيعُ أنْ يُكْمِلَ لَنا بَقيَّةَ ما حَدَث..

قال الْجَدُّ «حَكِيم»:

- بعدَ انْتِهاءِ الْمعركةِ.. قابلَنِى أَحَدُ حُرَّاسِ الْقصرِ.. وأَخْبرَنِى كيفَ أَنَّ الْمَلِكَ «فَارِس» قد أَخْرجَ أخاهُ «الأَمِير سَالِم» وزوجَتَهُ مِنَ البلادِ.. وعَزلَهُمَا فى مكانٍ بَعيد..

فذَهَبْتُ إلَيْهِما مُتَخَفِّيا.. ومَعِى هذا الْحَارِسُ الْوفىّ.. وهُناكَ وجدتُ زوجةَ الأَمِير «سَالِم» قد وضَعَتْ طفلةً صَغِيرةً جميلةً.. هِىَ أنْتِ يا «جَدَائِل»..

وتُوفِّيَتْ والدتُكِ بعدَ وقْتٍ قَصِيرٍ.. فحَزِنَ الأَمِير «سَالِم» علَيها

حُزْنًا شَدِيدًا.. حتّى مَرِضَ.. وتُوفِّىَ هُوَ أيضًا..

وكان كلُّ هذا صَدْمَةً كَبيرةً لى.. فأخَذْتُ «جَدَائِلَ» وهىَ مَوْلُودةٌ صَغِيـرةٌ.. وقرّرتُ ألّا أعـودَ إلى بلَدِى، حتى لا أرى ابْنِى الْمَلِك «فَارِس» الَّذى تَسَبَّبَ فى مَوْتِ أخيهِ وزوجَتِه..

وسافَرتُ.. ومعى الْحَارِسُ الْوفِىّ..

وفى الطّريق.. مَرَرْنا بالبلدةِ التى اشْتريتُ منْها الثَّوْبَ والحِذاءَ.. وكانَت والدةُ «جَدَائِلَ» تَشْتَرِى منْها كُلَّ حاجِياتِها..

وفى هَذِه البَلدةِ قابَلْنا أَحَدَ الرِّجال الصَّالحين.. وكانَ شيخًا كَبيرًا وَقُورًا.. له لِحْيَةٌ بَيضاءُ طَويلةٌ.. وكنّا فى يَومٍ مِنْ أيامِ السبتِ.. وأنا أذْكر هذا اليَومَ تمامًا.. لأن الشَّيْخَ الكَبيرَ دَهِشَ عِندَما رآنى ورأى معى «جَدَائِلَ» الرَّضِيعَة.. وسألَنِى عن اسْمِى وعَنْ «جَدَائِل».. فقلتُ له:

– اسْمِى «حَكِيم».. وهَذِه ابْنَةُ ابْنِى.. فحَكَى لَنا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ حُلْمًا عَجِيبًا.. وقال:

– لقد رأيتُ – مُنْذُ يَوْمٍ واحِدٍ – فى لَيلةِ الجمعةِ حُلْمًا غَريبًا.. بَدَأ يَتحقَّقُ.. رأيتُ أنِّى قد قابَلتُ رَجُلًا فاضِلًا يُشْبِهُكَ تمامًا يا سَيِّد «حَكِيم» مَعهُ طِفلةٌ صَغِيرةٌ حديثةُ الْوِلادةِ.. وشَعْرُهَا أسودُ طَوِيلٌ..



وَوجْهُها كأنَّه وجْهُ الْقَمر.. تُشْبِهُ ابنةَ ابْنِكَ «جدَائِل» تمامَ الشَّبَه..

ورأيتُ حِصانًا أبيضَ لم أَرَ أجمـلَ مِنْـهُ في حَيـاتِي.. جـاء الحِصـانُ الأبـيضُ لَا أَدْرِى مِـنْ أَيْـنَ.. ووقفَ أمـامَـكَ يـا سَيِّـد «حَكِيم».. فـرَكـبْـتَ أنـت و «جَدَائِل».. ورأيتُ كأنَّ الحِصـانَ الأبيضَ قـد نبَتَتْ لَهُ أجنحةٌ.. وطارَ بكُمَا فى السَّماءِ.. وظَهرَتْ حولَكُمَا مجموعةً مِنَ الْحُورِّيات الجميلةِ.. تَعْزِفُ أَلْحانًا بديعةً.. وهَبطَ الحِصانُ بِكُما فَوْقَ سحابةٍ كَبيرةٍ بَيضاء.. ورأيتُ فَوْقَ السَّحابةِ قَصْرًا كَبِيرًا تَكَوَّنَ فى الْحالِ.. ودَخَلْتَ أنتَ وابْنةَ أبْنكِ «جَدَائِل» فى هذا القصـرِ.. وصَحَوْتُ أنا مَنَ النَّومِ..



لقد كان الْحُلْمُ عجيبًا حقًّا.. ولَكِنْ ما هو أعجَبُ أنَّ الْحُلْمَ تحقَّقَ فى الصباحِ.. ورأيتُكَ أنْتَ و «جَدَائِل» كما كُنْتُمَا فى الْحُلْمِ تمامًا..

يا سَيِّد «حَكِيم».. إنَّ ابْنَةَ ابْنِكَ «جَدَائِل».. سَيَكونُ لَها شَأْنٌ كَبِير.. فَحافِظْ عَلَيْها.. فإِنَّ اللَّهَ سَيُجْرِى الْخَيرَ على يَدَيْها..

وتركْنَا هَذِه البَلْدَةَ.. ومَشيْنا..

وتاهَ مِنَّا الحَارِسُ الْوفِىُّ فى أَحَدِ أسواقِ البلدِة.. بَعْدَ أن سَمِعَ هذا الْحُلْمَ الْعَجِيب.. وبَحثْنا عَنْهُ فلَمْ نَجِدْه..

واسْتقرَّ بنا الْمُقامُ فى تِلْكَ الْجَزِيرةِ الخَضْراءِ الجميلةِ.. الّتى قَابَلَنا فيها الأَمِيرُ «سَيْف».. ثم التفت الجد حكيم إلىّ وقال:

- يَظهرُ أنَّ (الشَّيْخَ الطَّيِّبَ) الَّذِى قابَلْتَهُ فى طَرِيقِكَ.. ووصَفَنِى لَكَ.. يَظْهَرُ أَنَّ هذا (الشَّيْخ الطَّيِّبَ) هو الْحارِسُ الوفِىُّ الّذى تاهَ مِنَّا فى تلكَ البَلْدَةِ..

انْتَهى الْجَدُّ «حَكِيم» مِنْ قِصَّتِه.. فالْتَفَتَ إلَيهِ ابْنُه الْمَلِكُ «فَارِس» وقالَ لَهُ:

- وهَلْ عَفَوْتَ عنِّى الآنَ يا أَبِى..؟

قالَ الْجَدُّ «حَكِيم»:

- إِنَّ اللَّهَ يَعْفُو عَنِ النَّاسِ.. وما دُمْتَ قد نَدِمْتَ على ما فَعَلْتَهُ.. فإِنَّ اللَّهَ هو الْغفَّارُ الرَّحِيم.. إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جميعًا يا وَلَدِى..

ذاعَ بينَ النّاسِ نَبأُ عَوْدةِ السُّلطان «حَكيم» فعَمَّتِ الأَفْراحُ البِلادَ..

وتنازلَ السُّلطانُ «حَكِيم» عن الْحُكْمِ لابْنِهِ الملِكِ «فَارِس»..

وشُفِىَ الْمَلِكُ بعد أن انْزاحَ عن صَدْرِهِ هذا الْكابُوسُ الْمُخِيف..
ورَضِىَ عَنْهُ أَبُوه «حَكِيم»..

وتَمَّ زواجُ الأميرِ «سَيْف» مِنَ الأَمِيرةِ «جَدَائِل».. وأُقِيمَت الأَفراحُ فى الجَزِيرةِ الخضراء.. وسُمِّيَتْ.. (جَزِيرةَ الشَّعْرِ الأَسْوَد)..

وعُيِّنَ الأَمِيرُ سَيْف حاكمًا على الْجِزيرة.. التى رَحَلَ إلَيها آلافٌ مِنَ الأَهالى.. وقامُوا بزراعَتِها وتَعْمِيرِها..

وعاشَت الْجزيرةُ فى سعادةٍ وسَلام.. والأَمِير «سَيْف» يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فى الْعَدْلِ والتَّسامح..

ومَرَّتِ الأيـام...

وازْدَهرت الحياةُ فى (جَزِيرة الشّعر الأسود).. وأَصْبَحَ يُضْرَبُ بها المَثلُ فى الْغِنَى والثَّروةِ والإنتَاجِ الْوافِر.. الَّذى عادَ على أَهْلِهَا جميعًا بالْخَيرِ والبركَاتِ..



أسئلة فى القصة

١ - كيف عرفَ الأميرُ (سَيْف) أَنَّ جَدَّ (جَدَائِلَ) هُوَ (حَكِيمُ الزَّمَانِ)؟

٢ - ما أهمّ صِفَاتِ "(حَكِيم الزَّمان).. ؟

٣ - لماذَا قَبِلَ الأمِيرُ (سَيْف) أَنْ يُقِيمَ فى الْجَزِيرَةِ مع الْجَدّ (حَكِيم)؟..

٤ - ما السِّرُّ الَّذِى حَكَاهُ الأَمِيرُ (سَيْف) لِلْجَدِّ (حَكِيم)؟

٥ - ماذَا كانَتْ أَعْرَاضُ مَرَضِ الْمَلِكِ (فَارِس)؟

٦ - لماذَا سَافرَ الْجَدُّ (حَكِيم) مع حَفِيدَتِه (جَدَائِل) إلى بِلَادِ الأَمِيرِ (سَيْف)؟

٧ - صِفْ مَنْظَرَ (الْوِدَاعِ) عِنْدَمَا غَادَرَ الْجَدُّ (حَكِيم) الْجَزِيرَةَ مع حَفِيدَتِه (جَدَائِل)؟

٨ - عِنْدَمَا كان الْجَدُّ (حَكِيم) مع حَفِيدَتِهِ فى الطَّرِيقِ إلَى بَلَادِ الْمَلِك (فَارِس)

أَكْمِل:

اشْتَرى لَها ....

....

٩ - صِفْ مَنْظَرَ اسْتِقْبالِ الْجَدّ (حَكِيم) و (جَدَائِل) والأَمِير (سَيفْ) فى بِلَادِ الْمَلِك (فَارِس)؟

١٠ - وصَفْتَ مَنْظَرَ (الْوِدَاعِ).. ومَنْظَرَ (الاسْتِقْبال)..

- ما الْفرق الرَّئِيسِى بَيْنَهُما؟ - وأَيُّهُما تُفَضِّلُ..؟ ولِماذا..؟

١١ - لِماذا دَهِشَ الْمَلِكُ (فَارِس) عِنْدَمَا رَأى (الْخاتَم) الَّذِى تَتَحَلَّى به (جَدَائِل)؟

١٢ - مَا هِىَ أَكْبَرُ الْمفَاجآتِ فى هَذِ الْقِصَّة من وِجْهَةِ نَظَرِكَ؟

رقم الإيداع	١٩٩٧/٣١٥٠	
الترقيم الدولى	977-02-5406-1	ISBN

٧/٩٧/٣٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)